

إذا سُب الرسول فانتظر النصر المأمول

الشيخ سيد العربي

أولا لقد أعلى الله شأن نبيه صلى الله عليه وسلم دينا ودنيا:

فقال تعالى: { ما كان محمد أباً أحد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النبيين و كان الله بكل شيء عليما } (40) الأحزاب.
و قال تعالى : { محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله و رضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة و مثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا و عملوا الصالحات منهم مغفرة و أجراً عظيماً } (29) الفتح.
قال تعالى: { أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه و المؤمنون كل آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله لا نفرق بين أحد من رسله و قالوا سمعنا و أطعنا غفرانك ربنا و إليك المصير } (285) البقرة.
قال تعالى: { إن الله و ملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً } (56) الأحزاب.
و قال تعالى: { إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه و هذا النبي و الذين آمنوا و الله ولي المؤمنين } (68) آل عمران.
قال تعالى: { يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً } (45) الأحزاب.
قال تعالى: { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم } (128) التوبة
قال تعالى: { يا أيها النبي حسبك الله و من اتبعك من المؤمنين } (64) الأنفال.
قال تعالى: { النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم و أزواجه أمهاتهم.... } (6) الأحزاب

وكرمه أعلى التكريم وأرفعه صلى الله عليه وسلم :
فقال تعالى: { سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير } (1) الإسراء.
قال تعالى: { الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجاً } (1) الكهف.
قال تعالى: { تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً } (1) الفرقان.
قال تعالى: { هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور و إن الله بكم لرءوف رحيم } (9) الحديد.

وأمر باتباعه وطاعته والإيمان به صلى الله عليه وسلم:
فقال تعالى: { فأمنوا بالله و رسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله و كلماته و اتبعوه لعلكم تهتدون } (158) الأعراف.
قال تعالى: { و أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و احذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين } (92) المائدة.
قال تعالى: { قل أطيعوا الله و أطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل و عليكم ما حملتم و إن تطيعوه تهتدوا و ما على الرسول إلا البلاغ المبين } (54) النور.

قال تعالى: { وما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا و اتقوا الله إن الله شديد العقاب } (7) الحشر
قال تعالى: { لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر و ذكر الله كثيراً } (21) الأحزاب

وأمر المؤمنين بعظيم الأدب معه صلى الله عليه وسلم:
فقال تعالى: { يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي و لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم و أنتم لا تشعرون } (2) الحجرات.

قال تعالى: {إن الذين يعضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم} (3) الحجرات.
قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه و لكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا و لا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم و الله لا يستحي من الحق...} (53) الأحزاب.
قال تعالى: {و ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله و لا أن تتكفوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما} (53) الأحزاب.

وحذر تحذيرا شديدا من إيذائه ولو بأقل القليل:
فقال تعالى: {و منهم الذين يؤذون النبي و يقولون هو أذن قل خير لكم يؤمن بالله و يؤمن للمؤمنين و رحمة للذين آمنوا منكم و الذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم} (61) التوبة.
قال تعالى: {ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و وصله جهنم و ساءت مصيرا} (115) النساء.
قال تعالى: {إن الذين كفروا و صدوا عن سبيل الله و شاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا و سيحبط أعمالهم} (32) محمد.

ولكن السنة الكونية أن هناك أعداء له صلى الله عليه وسلم :
قال تعالى: {وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس و الجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا و لو شاء ربك ما فعلوه فذرهم و ما يفترون} (112) الأنعام.
قال تعالى: {و كذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين و كفى بربك هاديا و نصيرا} (31) الفرقان.

ثانيا: حكم السب ومناطه:

قال ابن تيمية في الصارم المسلول ج: 3 ص: 978...وما بعدها:
قال القاضي عياض " جميع من سب النبي أو عابه أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به أو شبهه بشئ على طريق السب له والإضرار عليه أو البغض منه والعيب له فهو سب له و الحكم فيه حكم السب يقتل ولا نستثن فضلا من فصول هذا الباب عن هذا المقصد ولا نمتر فيه تصريحاً كان أو تلويحاً وكذلك من لعنه أو تمنى مضرة له أو دعا عليه أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الدم أو عيبه في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزورا أو غيره بشئ مما يجري من البلاء والمحنة عليه أو غمضه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه قال هذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن أصحابه وهلم جرا. .

وقال ابن القاسم عن مالك من سب النبي قتل ولم يستتب قال ابن القاسم أو شتمه أو عابه أو تنقصه فانه يقتل كالزندق وقد فرض الله توقيره وبره , وكذلك قال مالك في رواية المدنيين عنه من سب رسول الله أو شتمه أو عابه أو تنقصه قتل مسلما كان أو كافرا ولا يستتاب, وروى ابن وهب عن مالك من قال إن رداء النبي و يروى إزاره وسخ وإراد به عيبه قتل , وذكر بعض المالكية إجماع العلماء على أن من دعا على نبي من الأنبياء بالويل أو بشيء من المكروه انه يقتل بلا استتابة.
وذكر القاضي عياض أجوبة جماعة من فقهاء المالكية المشاهير بالقتل بلا استتابة في قضايا متعددة أفتى في كل قضية بعضهم منها رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي إذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال تريدون تعرفون صفته هي صفة هذا المار في خلقته ولحيته , ومنها رجل قال النبي كان أسود , ومنها رجل قيل له لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا قيل له ما تقول يا عدوا لله فقال اشد من كلامه الأول ثم قال إنما أردت برسول الله العقرب قالوا لا يقبل لأن إدعاءه للتأويل في لفظ صراح لا يقبل لأنه امتهان وهو غير معزر لرسول الله ولا موقر له فوجبت إباحة دمه , ومنها من قال إن سألت أو جهلت فقد سأل النبي وجهل , ومنها متفق كان يستخف بالنبي ويسميه في أثناء مناظرته اليتيم ويزعم أن زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات لأكلها وأشباه هذا.

قال عياض فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ومتأخرهم وان اختلفوا في حكم قتله.

وكذلك قال أبو حنيفة وأصحابه فيمن تنقصه أو برئ منه أو كذبه انه مرتد وكذلك قال أصحاب الشافعي كل من تعرض لرسول الله بما فيه استهانة فهو كالسب الصريح فان الاستهانة بالنبي كفر وهل يتحتم فيه قتله أو يسقط بالتوبة على الوجهين.

وقد نص الشافعي على هذا المعنى...
فقد اتفقت نصوص العلماء من جميع الطوائف على أن التنقص به كفر مبيح للدم... ولا فرق في ذلك بين أن يقصد عيبه والإضرار به أو لا يقصد عيبه لكن المقصود شيء آخر حصل السب تبعاً له أو لا يقصد شيئاً من ذلك بل يهزل ويمزح أو يفعل غير ذلك

فهذا كله يشترك في هذا الحكم إذا كان القول نفسه سباً فإن الرجل يتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب..
ومن قال ما هو سب وتقص له فقد أذى الله ورسوله وهو مأخوذ بما يؤذي به الناس من القول الذي هو في نفسه أذى وإن لم يقصد أذاهم...
ألم تسمع إلى الذين قالوا {إنما كنا نخوض ونلعب}
فقال الله تعالى: {أبالله و آياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم}
وهذا مثل من يغضب فيذكر له حديث عن النبي أو حكم من حكمه أو يدعى لما سنه فيلعن ويقبح ونحو ذلك...
وقد قال تعالى: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً}
فأقسم سبحانه بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموه ثم لا يجدون في نفوسهم حرجاً من حكمه فمن شاجر غيره في أمره وجرح لذكر رسول الله حتى أفحش في منطقة فهو كافر بنص التنزيل ولا يعذر بأن مقصوده رد الخصم فإن الرجل لا يؤمن حتى يكون الله ورسوله أحب إليه ممن سواهما وحتى يكون الرسول أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين.أ.هـ

ثالثاً: سب الرسول صلى الله عليه وسلم من أعظم الضرر في الدين :

قال ابن تيمية في الصارم المسلول ج: 2 ص: 38
إن المعاهد له أن يظهر في داره ما شاء من أمر دينه الذي لا يؤذينا والذمي ليس له أن يظهر في دار الإسلام شيئاً من دينه الباطل وإن لم يؤذنا فحاله أشد....
إن الذمي إذا سب الرسول أو سب الله أو عاب الإسلام علانية فقد نكث يمينه وطعن في ديننا لأنه لا خلاف بين المسلمين وأنه يعاقب على ذلك ويؤدب عليه....
و قال في الصارم المسلول ج: 2 ص: 46
و لا ريب أن من أظهر سب الرسول من أهل الذمة و شتمه فإنه يغيظ المؤمنين و يؤلمهم أكثر مما لو سفك دماء بعضهم و أخذ أموالهم فإن هذا يثير الغضب لله و الحمية لله و لرسوله و هذا القدر لا يهيج في قلب المؤمن غيظاً أعظم منه بل المؤمن المسدد لا يغضب هذا الغضب إلا لله....
و فى الصارم المسلول ج: 2 ص: 453
أما سب الرسول والطعن في الدين ونحو ذلك فهو مما يضر المسلمين ضرراً يفوق ضرر قتل النفس و أخذ المال من بعض الوجوه فإنه لا يبلغ في إسفال كلمة الله و إذلال كتاب الله و إهانة كتاب الله من أن يظهر الكافر المعاهد السب و الشتم لمن جاء بالكتاب..(وهو الرسول).....
الصارم المسلول ج: 2 ص: 462
إن إظهار سب الرسول طعن في دين المسلمين و إضرار بهم و مجرد التكلم بدينهم ليس فيه إضرار بالمسلمين فصار إظهار سب الرسول بمنزلة المحاربة.....
الصارم المسلول ج: 3 ص: 940
إن ظهور الطعن في الدين من سب الرسول ونحوه فساداً عريضاً وراء مجرد الكفر فلا يكون حصول الإسلام ما حيا لذلك الفساد....
وفى مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 120
و كذلك تكذيب الرسول بالقلب و بغضه و حسده و الاستكبار عن متابعتة أعظم إثماً من أعمال ظاهرة خالية عن هذا كالقتل و الزنا و الشرب و السرقة و ما كان كفراً من الأعمال الظاهرة كالسجود للأوثان و سب الرسول و نحو ذلك فإنما ذلك لكونه مستلزماً لكفر الباطن و إلا فلو قدر أنه سجد قدام وثن و لم يقصد بقلبه السجود له بل قصد السجود لله بقلبه لم يكن ذلك.....

رابعاً: عقوبة السب الربانية:

قال ابن تيمية في الصارم المسلول ج: 3 ص: 983...و ما بعدها.
فعبد الله بن سعد بن أبي سرح افتري على النبي أنه كان يتمم له الوحي و يكتب له ما يريد فيوافق عليه و أنه يصرفه حيث شاء و يغير ما أمره به من الوحي فيقره على ذلك و زعم أنه سينزل مثل ما أنزل الله إذ كان قد أوحى إليه في زعمه كما أوحى إلى رسول الله و هذا الطعن على رسول الله وعلى كتابه و الافتراء عليه بما يوجب الريب في نبوته قدر زائد على مجرد الكفر به و الردة في الدين و هو من أنواع السب..

و كذلك لما افتري عليه كاتب آخر مثل هذه الفرية قصمه الله و عاقبه عقوبة خارجه
عن العادة ليتبين لكل احد إفتراؤه إذ كان مثل هذا يوجب
في القلوب المريضة ريبا بأن يقول القائل كاتبه اعلم الناس بباطنه و بحقيقة أمره و
قد أخبر عنه بما أخبر فمن نصر الله لرسوله أن أظهر
فيه آية يبين بها انه مفتر....

فروى البخاري في صحيحه عن عبد العزيز بن صهيب عن انس قال كان رجلا نصرانيا
فاسلم و قرأ البقرة و ال عمران و كان يكتب للنبي فعاد نصرانيا
فكان يقول لا يدري محمد إلا ما كتبت له فأماته الله..
فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا
فألغوه فحفروا له و أعمقوا في الأرض ما استطاعوا فأصبح و قد لفظته الأرض
فعلموا انه ليس من الناس فالقوه...

و رواه مسلم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن انس قال:
كان منا رجل من بني النجار قد قرأ البقرة و ال عمران..
و كان يكتب للنبي فانطلق هاربا حتى لحق بأهل الكتاب..
قال فعرفوه قالوا هذا قد كان يكتب لمحمد فأعجبوا به فما لبث أن قصم الله عنقه
فيهم فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ثم عادوا فحفروا له
فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ثم عادوا فحفروا له فواروه فأصبحت
الأرض قد نبذته على وجهها فتركوه منبوذا...
فهذ